

المقدمة:

مرحباً بالجميع. اليوم هو اليوم الأول من الأسبوع التاسع لـ"عيون على غزة". أسبوع يبدأ بالاحتجاج والتعطيل، ولقاؤنا هنا اليوم، هذا التجمع، هو فعل إضراب، فعل احتجاج دائم ورفض لتطبيع الدمار والقتل والفظائع والتجويع، وهو أيضاً إصرار على أن النضالات مترابطة وأن علينا الإصرار على جميع الجبهات. النضال من أجل استعادة الأسرى هو دائماً أيضاً نضال لإنهاء الإبادة في غزة، لإنهاء الاحتلال، لرفض عنف المستوطنين والعنف برعاية الجيش والدولة. لذلك نحن هنا اليوم نتجمع معاً، لنُظهر احتجاجنا ورفضنا. نحن نشكر ضيفتنا اليوم، الدكتورة ميخال فلدون، وهي طبيبة أطفال وناشطة، ستحدث معنا عن صمت المجتمع الطبي في البلاد إزاء الإبادة في غزة. شكراً ميخال.

المحاضرة:

شكراً لكم على دعوتي. سأبدأ مباشرة. لدي العديد من الشرائح في العرض التقديمي، ولست متأكدة أننا سنصل إليها كلها. المهم بالنسبة لي هو الحديث عن موضوع اللقاء نفسه، وأمل أن أتمكن من تغطيته. من المهم بالنسبة لي أن أؤكد على توحيد المصطلحات. أنا أتكلم عن إبادة جماعية، عن "genocide". أعتقد أنه منذ أن أصدر مركز "بتسيلم" و"أطباء لحقوق الإنسان" تقاريرهم في نهاية يوليو، وهذه هي التسمية الدقيقة. أحياناً أستخدم كلمة "حرب" بالتبادل، لكن القصد هو دائماً الحديث عن إبادة جماعية.

هذه الشريحة قديمة جداً، عمرها أكثر من عام، لكن من المدهش أن كل ما ورد فيها لا يزال صحيحاً. غزة منذ أكتوبر 2023 هي المكان الأكثر فتكاً في العالم، بما في ذلك بالنسبة للعاملين في مجال المساعدات. هي أخطر مكان في العالم على الأطفال. هي أخطر مكان في العالم على الصحفيين. وهي المكان الأكثر دماراً في العالم مقارنة بكل الحروب السابقة. هي أكثر مكان عطشاً في العالم. أكثر مكان جوعاً في العالم. أكثر مكان مليئاً بالجروح والإصابات، خاصة عند الحديث عن إصابات الأطفال وبتن الأطراف. وهي الهجمة الأكثر شمولاً والأطول على نظام صحي في تاريخ الحروب.

البيانات الأحدث المنشورة – حتى قبل أيام قليلة – تشير إلى أن عدد القتلى تجاوز 60,000 [61,722]، وعدد الجرحى 154,525. أما فيما يتعلق بالتغذية، فالمهم هو أن كل السكان يعيشون حالة من انعدام الأمن الغذائي، وما يختلف فقط هو الدرجة. حوالي ربع السكان تقريباً وصلوا إلى ما قبل المرحلة الخامسة، وهي الأصعب في انعدام الأمن الغذائي.

النظام الصحي كله تعرض للهجوم مراراً وتكراراً. حوالي 50% من المستشفيات تعمل حالياً بشكل جزئي. بالنسبة للمساعدات الإنسانية، يمكنكم أن تروا على مدى الأشهر الماضية أن ثلث الطلبات فقط تتجح في الدخول إلى غزة، والبقية يتم رفضها أو تأجيلها أو عرقلتها ببروقراطياً.

منذ مارس 2024 كتب عيدو افراتي في صحيفة "هآرتس" مقالاً كبيراً تحدث فيه عن صمت المنظومة الطبية. المقال نُشر على خلفية قضية "سدي تيمان" ومحاولة ترحيل المرضى الغزيين الأخيرين من إسرائيل. لكن افراتي قالها بوضوح قبل عام ونصف: النظام الصحي حكم على نفسه بالسمت. كان ذلك صحيحاً حينها، وهو صحيح اليوم أيضاً.

أريد أن أستعرض النقاط التي كان يفترض أن يُثار حولها غضب المجتمع الطبي ولم يحدث ذلك:

النقطة الأولى: العلاج الطبي للمرضى الفلسطينيين قبل 7 أكتوبر. وفقاً لـ"بتسيلم"، كان هناك 4,000 طفل من غزة يتلقون علاجاً طبياً في إسرائيل. هذا عدد هائل. أتحدث عن الأطفال لأن هذا ما أعرفه. لا أعتقد أن هناك طبيب أطفال إسرائيلي في مستشفى عام كبير لم يعالج أطفالاً من غزة. ومنذ أكتوبر، لم يدخل أي طفل من غزة إلى إسرائيل لتلقي العلاج. معظم المرضى الذين كانوا هنا أُعيدوا إلى الضفة أو غزة. الأطباء الإسرائيليون الذين تابعوا حالتهم لا يعرفون فعلياً ما الذي حدث لهم. ليست لدينا أي بيانات بحثية كبيرة توثق نتائج هؤلاء الأطفال. نعلم أن بعضهم تمكن من الهرب والبعض الآخر انقطع الاتصال بهم. في النهاية نحن لا نعرف حقاً ماذا حل بمرضاينا. وهناك بالطبع قضية علاج الأسرى الفلسطينيين، الذي كان متدنياً حتى قبل 7 أكتوبر، لكنه تدهور أكثر منذ الحرب، بما في ذلك مستشفيات رفضت معالجة الأسرى. هذا بلا شك علاج سيئ.

[في الصورة] احتجاج صغير، نعم، هناك 10-12 طبيباً من مستشفى شيبا تظاهروا في مارس 2024 ضد محاولة ترحيل مرضاهم الغزيين. المحكمة العليا نجحت في تأجيل ترحيلهم، لكنهم في النهاية أُعيدوا إلى غزة.

النقطة الثانية: الطواقم الطبية الفلسطينية أو العربية في إسرائيل. 25% من الطواقم الطبية في البلاد هم عرب أو فلسطينيون. منذ 7 أكتوبر هناك مناخ من الخوف والإسكات. نتحدث عن عشرات الحالات من جلسات استماع أو تعليق عمل أو فصل بسبب تصريحات سياسية، غالباً مجرد تعبير عن تضامن مع عائلات في غزة، أو منشورات قديمة منذ سنوات. ليست لدي أرقام دقيقة، لكن لا يوجد مستشفى أو صندوق مرضى في البلاد لم يشهد مثل هذه الحالات. في بعض المستشفيات كان هناك عشرات الحالات.

وفي المقابل، هناك تصريحات إبادة جماعية تصدر باستمرار من الطواقم اليهودية في المستشفيات، مثل مقولة "لا يوجد أبرياء في غزة". إذا كنت طبيباً فلسطينياً تعمل في مستشفى إسرائيلي وتسمع هذا يومياً، فهذه تجربة قاسية جداً.

النقطة الثالثة: مسألة السلاح والعسكرة في البلاد، حتى داخل المستشفيات. رأيت أطباء أطفال يديرون عياداتهم وحبوبهم مسدسات. في نوفمبر 2023 كان هناك حدث مهم، حين وقع 100 طبيب على رسالة بعنوان "أطباء من أجل حقوق جنود الجيش الإسرائيلي"، دعوا فيها الجيش إلى قصف مستشفى الشفاء. العبارة التي لن تُعتقر لهم كانت "هناك واجب لتدمير أعشاش الدبابير"، وكانوا يقصدون مستشفيات غزة. ولا واحد من هؤلاء الأطباء تعرض لأي محاكمة تأديبية أو مساءلة.

كانت تتحدث عن 1400 من العاملين الصحيين الذين قُتلوا. اليوم نتحدث عن 1500-1600. حوالي 400 من الطواقم الطبية اعتقلوا. نعرف أن بعضهم محتجز في منشآت إسرائيلية، لكن بعضهم اختفى. لدينا شهادات كثيرة عن تعذيب طواقم طبية في مراكز احتجاز إسرائيلية، وهناك أطباء ماتوا في تلك المراكز.

طبعاً هناك قضية المسعفين في مارس 2025، التي كانت أكبر قضية سمع بها الجميع. [في الصورة] حسام أبو صافية، مدير مستشفى كمال عدوان، خُطف من المستشفى بعد أن تعرض للهجوم في ديسمبر 2024. [في الصورة] عدنان البرش، مدير قسم العظام في مستشفى الشفاء، اعتُقل في ديسمبر 2023 أثناء عمله. على ما يبدو احتُجز في "سدي تيمان" لأشهر، وتوفي في أبريل 2024، ولا نعرف ظروف موته بدقة. وهذه واحدة من الصور الشهيرة من قضية المسعفين والمقبرة الجماعية التي وُجدوا فيها.